مقدمة

نظرية القراءة، التي طورتها مدرسة كونستانس الألمانية، نشأت في الستينيات من القرن العشرين، وتعتبر من أهم النظريات في النقد الأدبي المعاصر. هذه النظرية تركز على دور القارئ في تشكيل معنى النص الأدبي، حيث يُعتبر القارئ شريكًا فعّالًا في عملية التفسير.

ومن أبرز روادها هانز روبرت ياوس وولفغانغ إيزر. قدمت هذه المدرسة مفاهيم جديدة مثل "أفق التوقعات" و"الفجوات النصية"، حيث يُنظر إلى النص الأدبي على أنه يحتوي على فجوات يجب على القارئ ملؤها من خلال تجربته الشخصية ومعرفته السابقة.

1. نشأة نظرية التلقي مع كونستانس:

نشأت نظرية التلقي في ألمانيا الغربية، وتنسب لجامعة كونستانس، ومن ممثليها: ياوس وآيزر، والناقد الأمريكي ستانلي فيش الذي اهتم كثيرا بنظرية الاستقبال.

مبادئ نظرية التلقي

تقوم هذه النظرية على مبادئ عدة منها:

- كيفية تلقي العمل الأدبي والخطابات.
- إبراز الوسائل والطرائق التي تتم بها عملية استقبال الكتابات الإبداعية. ويقصد بها ما يدور في نفس المتلقي من: **الافتراض التوقعي المسبق.**
- طرح فرضيات وأسئلة متعلقة بالعمل بشكل مسبق، قبل الدخول إلى القراءة والتحليل والتأويل.

وآلية الربط والاستنتاج التي تنبني على خلق الروابط الذهنية واللغوية خلق اتساق النص وانسجامه من أجل إزالة غموض النص وإبهامه.

وتعتمد هذه النظرية على أن الكاتب يترك بياضات فارغة تحتاج إلى ملئها عن طريق التأويل والتفسير والاستنتاج الدلالي والمقصدي. **ويتجلى دور القارئ** هنا في ملء الفراغات والبياضات، والإجابة عن نقاط الحذف والصمت والرفض.

- كما أن هناك مجموعة من الإشارات والأدلة وآثار النص التي يتركها المبدع لتكون نبراسا للمتلقين، الذين يقومون بدورهم في تفكيك هذه الإشارات اللغوية والعلامات السيميائية بالشرح أو التأويل وصولا إلى المعنى المفترض، الذي يتغير في الزمان والمكان ومن قارئ إلى آخر حسب تغير الظروف التاريخية، وتحول السياقات الخارجية. ولقراءة وفهم العمل يجب علينا أن نكون بالفعل على دراية بالرموز التي تستخدمها هذه القراءة.

ما بعد البنيوية الدكتور وليد عثماني

ويرى آيزر أن المتلقي الحقيقي هو الذي يركن إلى القراءة النقدية الإدراكية التي تستشكف الرموز بشكل جيد وواع، وبطريقة عميقة.

2. أهم الأعلام في مدرسة كونستانس

1. هانزروبرت ياوس:

- يُعتبر من المؤسسين الرئيسيين لنظرية التلقي.
- قدم مفهوم "أفق التوقعات" الذي يركز على كيفية تفاعل القارئ مع النص الأدبي بناءً على توقعاته المسبقة.

2. ولفغانغ إيزر:

- ركز على دور القارئ الضمني في عملية التلقي.
- قدم مفهوم "الفجوات النصية" التي يجب على القارئ ملؤها بخياله وتفسيره الشخصي.

3. أهم مصطلحات نظرية التلقي

1 أفق التوقع أو الانتظار l'horizon d'attente:

هذا المصطلح هو الأساس في مشروع ياوس Jauss في نظرية التلقي، فهو يشكل عمود القراءة وهيكل التفسير والإبداع داخل النص "وهو مفهوم يضع منظومة التوقعات والافتراضات الأدبية والسياقية، التي تكون مترسبة في ذهن القارئ حول نص ما-قبل الشروع في قراءة النص- وهي فروض وتصورات قد تكون فردية لدى شخص محدد حول نص محدد، وقد تكون تصورات يحملها جيل أو فئة من القراء"[1]

ويتشكل هذا الأفق من الخبرة الجمالية والتناص والانزياح.

2-المسافة الجمالية:

وهي عبارة عن التعارض الذي يحصل للقارئ أثناء مباشرته للنص الأدبي كمجموعة من المحمولات الفنية والثقافية، وبين عدم استجابة النص لتلك الانتظارات والتوقعات، فقد يخيب ظن المتلقي في مطابقة معاييره السابقة مع معايير العمل الجديد، «ويمكن الحصول على هذه المسافة من خلال استقراء ردود أفعال القراء على الأثر أي من تلك الأحكام النقدية التي يطلقونها عليه"[2]، وهذا الأفق هو الذي تتحرك في ضوئه الانزياحات، فتخرج فيه اللغة من نطاق العادي إلى نطاق الفني والجمالي، ويتم من خلالها قياس جودة النص الأدبي.

[1] عبد الله الغذامي، القصيدة والنص المضاد، ص: 164.

[2] علي حمودين. المسعود القاسم: إشكالية نظرية التلقي، المصطلح، المفهوم، الإجراء، مجلة الأثر، ورقلة، ع25، جوان 2016، ص 135.

ما بعد البنيوية الدكتور وليد عثماني

3-اندماج الأفق:

وهو الذي يحدث فيه دمج بين تجارب الماضي التي تُجسد في النص واهتمامات قرّائه المعاصرين لدراسة العلاقة بين التلقي الأصلي للنص الأدبي وكيف يدرك في مراحل مختلفة في التاريخ حتى الوقت الراهن[3]، وبالتالي فهو يعني العلاقات القائمة بين الانتظارات الأولى التاريخية للأعمال الأدبية والانتظارات المعاصرة التي يحصل معها نوع من التجاوب أو التطابق، ويطلق عليها أمبرتو إيكو Umberto Eco الاشتراك النصي، فالتوازي بينهما يؤدي إلى اندماج الأفق، وهذا لا يؤدي طبعا لخيبة أمل القارئ، ولا يصاب هذا الأخير بالتوتر والقلق، كما يقل نشاطه وحسّه القرائي النشيط، فتفتقد عملية التفاعل بين النص والقارئ، والنصوص التي يتحقق فيها هذا العنصر، لا ترتقي إلى مصاف النصوص الجمالية.

4-مفهوم الفجوة:

في النص فجوات ولحظات ومسافات تسمى: اللاتحديد Indetermination، وتعتبر «بنية ديناميكية في النص، لأنها المجال الخصب الذي تتولى القراءة إثراءه، في ضوء لعبة الضياء والظلام، التي يثيرها النص، في اعتماده الكشف والخفاء، التصريح والسكوت، الإشارة والإهمال"[4]، وهي مهمة جدا في التحليل الظاهراتي، لأنها تؤثر على نشاط الحدس وعملية استعادة الأحداث، وتتطلب من القارئ ملأها، من خلال القيام بالعديد من الإجراءات، التي لا تستند إلى خبرات سابقة، ومرجعيات خارجية، وإنما إلى مقاربة التفاعل بين بنية النص، وبنية الفهم عند القارئ، وهذه الفراغات لا تستنفد طاقة النص الدلالية، بمجرد قراءة واحدة من قبل متلقي فريد، كما أنها تسبّب الارتباك في مسار القراءة، وتقرّب بين النص والقارئ، «فكل قارئ بمفرده سيعمل على ملء هذه الفراغات بطريقته الخاصة"[5]، التي تختلف عن طريقة باقي القراء، وهكذا تستمر عملية إنتاج القراءة وتوليد الدلالة.

4. القراءة كاستراتيجية نصية وممارسة جمالية:

مثلما يحتوي النص الأدبي على فجوات وفراغات تحتاج إلى سدّ وتفسير، فهو كذلك عبارة عن خليط من المرجعيات، والتخطيطات، التي تحتاج إلى عملية تركيب، عن طريق فعل القراءة، الذي يستدعي القارئ، من أجل الحفر داخل النص، والبحث عن المعنى الذي لم يقصده النص أصلا.

ويكون دور المتلقي/ القارئ قائما على التفاعل بينه وبين بنيته النصية. ولا تظهر جمالية هذا التفاعل إلا من خلال تأمل القارئ واستيعاب وجهات النظر المختلفة التي يقدمها النص ويربط الآراء والنماذج المختلفة بعضها ببعض؛ إذ إن مهمة المتلقي ليست مقصورة فقط على مجرد الحكم على العمل الأدبي بالحسن أو القبح، بل هي مهمة واعية يتم فيها التأمل

[3] نظرية الأدب في القرن العشرين، ص: 230.

[4] حبيب مونسي: نظريات القراءة في النقد المعاصر، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر، ط1، 2007، ص 177

[5] محمد سالم سعد الله: سجن التفكيك الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية، ص92.

والقدرة على إدراك العلاقات وتكوين صورة شاملة عن النص وما يتضمنه من عناصر الاستحسان أو الاستهجان وما يحيط بالنص من ظروف. فخبرة المتلقي هنا "ليست مقاييس هندسية حادة، تتعامل مع النص بحسابات جبرية فترفض هذا الشكل لوجود انحراف معين عن زواياه المحددة، أو تقبل غيره لتساوقه مع القياس" بل خبرته وذوقه الجمالي هي وسائل استكشاف عناصر الجمال في النص. وهنا نقول إن مهمة التلقي عمل فني مشترك تسهم فيه جهات عدة:

1. **المبدع:** صاحب النص بخلاصة التجربة التي عايشها.
2. **اللغة:** بما تحمل من معان ودلالات وإيحاءات.
3. **الدارس أو المتلقي:** بخبرته الفنية وذوقه الجمالي.
4. النقد والتحديات

على الرغم من أهمية نظرية القراءة، إلا أنها لم تسلم من النقد. ومن أبرز الانتقادات الموجهة لها:

1. التركيز الكبير على دور القارئ:

- يُنتقد النظرية لتركيزها الكبير على دور القارئ على حساب النص نفسه. فيرى بعض النقاد أن هذا التركيز قد يؤدي إلى تهميش النصوص الأدبية وتقليل قيمتها الذاتية.

2. ضبابية المصطلحات:

- هناك بعض الضبابية في تحديد المصطلحات المستخدمة في النظرية، مما قد يؤدي إلى تفسيرات متباينة بين النقاد والباحثين.

3. إقصاء المؤلف:

- يُعتبر أن النظرية قد تهمش دور المؤلف في عملية الإبداع الأدبي، حيث تركز بشكل كبير على القارئ وتفاعله مع النص.

ما بعد البنيوية الدكتور وليد عثماني